طقوس الموت في المجتمع الجزائري وأثر جائحة (كورونا)

Death Rites in the Algerian Society and the Impact of the COVID-19 Pandemic

نورية سوالمية
أستاذ محاضر "أ" / جامعة معسكر / الجزائر

Nouria Soualmia
Senior Lecturer (A)/ University of Mascara / Algeria
n.soualmia@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/08، تاريخ القبول: 2021/11/13
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 08/08/2021, **Accepted:** 13/11/2021
DOI:10.33977/0507-000-060-004
https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

يتناول هذا المقال طقوس الموت باعتبارها طقوس عبور، فهي مرحلة انتقالية من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، تتسم بمجموعة من الممارسات والدلالات، نتطرق إلى هذه الطقوس من خلال الواقع الاجتماعي، والتفاعل مع الموت كحدث حتمي في المجتمع الجزائري، وأيضا البحث في آثار جائحة (كورونا) على طقوس الموت. اعتمدت الدراسة هذه على المنهج الوصفي التحليلي وتقنية الملاحظة المباشرة لأهم الطقوس والممارسات والأشكال التعبيرية المتعلقة بحدث الموت في المجتمع الجزائري. وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن طقوس الموت في مجتمعنا تخضع للأزمنة الثلاثة: للفعل الطقسي (الفصل، الهامش، والادماج) كما رسمها (فان جنيب). وقد تقلصت هذه الطقوس بفعل جائحة (كورونا) التي دفعت المجتمع لاعتماد التفاعل الافتراضي عبر مواقع التواصل الاجتماعي خاصة.

الكلمات المفتاحية: طقوس العبور، الموت، (كورونا)، التصورات، الممارسات.

Abstract

This article deals with the rites of death as a rite of passage, as a transitional stage from the world of the living into the world of the dead, characterized by multiple practices and connotations. We study the rituals of death in social reality and through interaction with death in Algerian society and also research the effects of the COVID-19 pandemic on death rites. The study relied on the descriptive approach and the technique of direct observation of the most important rituals, practices, and expressive forms related to the event of death in Algerian society. We reached a set of results, including the death ritual in our society, which is subject to the three times of the ritual act: separation, margin, and integration, as mentioned by Van Gennep. These rituals are diminished due to the COVID-19 pandemic and society's reliance on virtual interaction through social media sites in particular.

Keywords: *Rituals of passage, death, COVID-19 pandemic, perceptions, practices*.

المقدمة

تعد طقوس الموت مجموعة من الأفعال والأقوال التي ترافق لحظات الاحتضار وما يتلو موت الإنسان، وهي بوابة مؤدية إلى العالم الآخر عالم الأموات وفضاء المقابر والمدافن، تعمل طقوس الموت على تجنب الفرد مواجهة الموت باعتباره موقفا مرعبا ومخيفا، وجعله حدثا متوقعا، فيصبح الفرد مستعدا لتقبل فكرة موته وموت الآخرين.

إنّ طقوس الموت تضمن السيطرة على حدث الموت من خلال الإحاطة بالميت منذ اللحظات الأولى للوفاة إلى غاية الغياب النهائي للجثة، وحماية المجموعة من أي أزمة تلحق بها، فالموت يبعث في نفس الإنسان انفعالات عديدة ومعقدة تجمع بين الخوف منه ومن الجثة، والحزن على فراق الميت، والأمل القوي في استمرار الحياة، وتؤثر هذه الانفعالات جميعا في سلوك الإنسان إزاء الموت، وتظهر خاصة في طرق التعبير عن الحزن كالبكاء والحداد والتساؤل حول حقيقة الحياة والموت والمصير بعد الوفاة مما يؤثر في شكل الطقوس ووظيفتها خاصة المتعلقة بالجثة وطرق التصرف فيها.

تختلف طقوس الموت من مجتمع إلى آخر وعبر فترات زمنية متفاوتة وعلى حسب ما تعيشه المجتمعات من مستجدات، فلقد عملت جائحة (وباء) (كورونا) فعليا على "كشف حقائق العديد من السلوكات والقناعات وأنماط التفكير والقيم التي ظلت إلى حد كبير شبه ثابتة في أذهان الأفراد والمجتمعات سواء في منظورنا للذات أو في علاقة هذه الأخيرة بالآخر. وبالفعل استحالت لحظة الوباء لحظة كاشفة أو محللا (analyseur) لاختبار مختلف الروابط الاجتماعية سواء التقليدية منها والمستجدة، كما ستعمل مستقبلا على تغيير مجموعة من السرديات وأنماط التفكير والفعل" (ارحالي ميلود وبولوح ابراهيم، 2020: 7)

وعليه سنحاول في هذا المقال الوقوف عند طقوس الموت باعتبارها طقوس عبور وبالتحديد الوقوف عند طرح (فان جنيب) Van Gennep لطقوس العبور مع محاولة ملامسة الواقع بما يتضمنه من ممارسات وطقوس إزاء حدث الموت، وأيضا البحث في آثار جائحة (كورونا) على طقوس الموت في المجتمع الجزائري باعتبار (كورونا) حدث كوني غيّر في الممارسات الثقافية والنظم الاجتماعية للمجتمعات على اختلافها بما فيها المجتمع الجزائري.

تساؤلات الدراسة

ما معنى الطقوس وما هي تصنيفاتها؟

كيف شرح (فان جنيب) طقوس العبور؟

ما هي أهم الطقوس والممارسات المتعلقة بالموت في المجتمع الجزائري؟

ما هي آثار جائحة (كورونا) على طقوس الموت في المجتمع الجزائري؟

المنهج وتقنية البحث

تم الاعتماد لتحليل حيثيات الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يمكننا من وصف وتحليل الظاهرة بصورة معمقة.

كما تم توظيف تقنية الملاحظة المباشرة لأهم الطقوس والممارسات والأشكال التعبيرية المتعلقة بحدث الموت في المجتمع الجزائري.

وتم تقسيم الدراسة إلى مجموعة من العناصر المتكاملة، وهي:

- مفهوم الطقوس وتصنيفاتها
- طقوس الموت طقوس عبور
- طقوس الموت في الإسلام

- آثار جائحة (كورونا) على طقوس الموت

أولا: مفهوم الطقوس وتصنيفاتها

1. مفهوم الطقوس

تشير لفظة الطقس إلى "الكيفية التي تتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في إطار احتفالي، ومن حيث الأصل اللغوي مصطلح (Rite) مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Ritus) وتعني مجموعة من الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة ما خلال احتفالها" (C. Rivière, 2008, 100)، إذن الطقوس هي كل سلوك تكرر وفق قواعد ثابتة.

وتستخدم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع "الطقوس" في وصفها للاحتفالات الدينية الجماعية أو الاحتفالات الدنيوية كتنصيب ملك أو رئيس، وللممارسات الفردية أيضا كإلقاء التحية أو شرب الشاي عند ساعة معينة محددة... إن الإنسان كائن طقوسي بامتياز، لأنه لا يمكن أن يعيش بدون طقوس، بدون رموز يوظفها في حياته، وبالتالي الطقوس هي ممارسات رمزية منظمة.

ويشار بالطقس في الديانة المسيحية إلى "النظام الذي تتم به الشعائر والاحتفالات الدينية المقدسة" (المعجم الوسيط، 1987: 561)، وإن مضمون الطقس في الإسلام يشمل الدلالة على "الشعيرة" والشعيرة تدل على الممارسات المقدسة التي تدخل المؤمن في حالة القداسة وتجعله يؤتي مناسكه التعبدية، وهي أيضا المراسيم التي تنجز ضمن التعاليم الدينية للدخول في تجربة القداسة. وتخضع ممارسة الطقوس إلى "جملة من الشعائر والمراسيم المعقدة ترجمها رموز الجماعة القولية والحركية، وتتحقق من خلالها غايات التواصل، وترتبط بالسلوك الطقسي جملة من الخاصيات تميزه عن باقي الممارسات الجماعية، أهمها انتظامه وفق تراتبية وضوابط لا يتم التبادل الرمزي إلا بها، ويجري كل طقس وفق سيناريوهات درامية متكررة تختلف باختلاف وضعيات التفاعل والأنظمة الثقافية. وعليه يتميز الطقس بمميزات يمكن تحديدها في التعقيد والتكرار والشحن الرمزي" (المحواشي منصف، 2010 :20)، يمكن شرحها كما يلي:

- التعقيد: أي أن الطقس يخضع لقواعد منتظمة متعارف عليها لدى أفراد الجماعة.
- التكرار: يعاد إنجازه في مناسبات تتولى في أوقات مضبوطة من حياة الجماعة حسب توزيع زمني مضبوط.
- الشحنة الرمزية: التي تتخذها مما يعطي للممارسات فعاليتها الرمزية الخاصة.

أما (R. BOUDON) يضع أربع خصائص للطقس، وهي: "معروض، مشفر، متكرر، ينجز" (R. Boudon, 2005 : 202)، أي أن الطقس متكرر تحييه مناسبات وشروط، وهو ينجز لتحقيق هدف معين، كما أنه مشفر وكأنه لغز تفسره نصوص عدة ، يضاف إلى ذلك أنه مأمور به إما من طرف رجال الدين أو العادات والتقاليد والأعراف. وغالبا ما تكون الممارسات الطقسية غير مفهومة أو غير مفكر فيها، فتأخذ طابعا شعبيا تبقى راسخة في وعي الجماعة حتى بعد انتهاء المناسبة، ويتم تناقلها جيلا عن جيل بقدر كبير من التقديس، فتصاحب الطقوس عادة صفة الجبرية والإلزام لأنه مرفوض الخروج عن المألوف في المجتمع.

2. تصنيف الطقوس

تصنف الطقوس تصنيفات عدة سواء على حسب الوظيفة التي تلعبها، أو من حيث الهدف الذي يسعى الفرد إلى تحقيقه، فتصنف إلى طقوس دينية وطقوس دنيوية، ومن منظور الشريعة الإسلامية تصنف إلى: طقوس تقليدية (زواج، ختان...) وطقوس بدعية (المحرم، شعوذة، سحر، عبادة الأولياء...)، تصنف الطقوس أيضا إلى طقوس فردية (ولادة، ختان...) وطقوس جماعية (الزواج، الموت...)، وحسب فراس السواح تقسم إلى: (السواح فراس. 2001)

- طقوس سحرية: ترتبط بقوى سحرية.
- طقوس دينية روتينية كالصلاة على سبيل المثال.
- طقوس دورية كبرى كأعياد رأس السنة

كما أن هناك طقوسا متكررة دورية تصنف إلى طقوس:

- دورة الحياة: (ولادة، البلوغ، الموت....)
- دورات طبيعية (فصول، مرور الكواكب، خسوف...)
- دورات اجتماعية (أعياد، احتفالات بذكرى....)

وهناك الطقوس العلاجية، طقوس الانفصال، الإدماج.....

ويعود التصنيف الأكثر شهرة إلى أرنولد (فان جنيب) المعروف بدراساته عن الفولك (Cf. A. V. Gennep, 1909) بتركيزه على الفئة المسماة "طقوس العبور".

ثانيا: طقوس الموت طقوس عبور

يعد (فان جنيب) أول من قدم مساهمة جادة في دراسة التكوين الفعلي للطقوس في كتابه "طقوس العبور"، لذا وجب علينا في البداية التعريف بهذا المفكر وبكتابه قبل الشروع في طرحه للموت وطقوسه.

1. التعريف بالكَاتب والكِتاب

ولد أرنولد (فان جنيب) Arnold Van Gennep في(23 أفريل 1873) بألمانيا Ludwigsbourg من أب ألماني وأم هولندية، بعد طلاق والديه عاش مع أمه بفرنسا، وهناك درس وتكوّن في علم الأعراق في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وتابع فيها دروس السّنسكريتيّة (sanscrit) لأنطوان مايّاي(Antoine Meillet) ، ودروس الديانة البدائية لـــلايون ماريلياي(Léon Marillier)، وفيها قام خصوصا بربط الصّلة مع (مارسيل موس Marcel Mauss) و(هنري إيبار Henri Hubert) (الذين سيكونان مستقبلا المشرفين على شعبة علم الأعراق(Ethnologie) في المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع).

ألف (فان جنيب) كتاب " الطوطمية في مدغشقر" Le Totémisme à Madagascar عام (1903)وأيضا "الأساطير الأسترالية" Les Mythes australiens عام (1906)، ويعد الكتاب الأكثر شهرة، والذي عرف به عالمنا هو "طقوس العبور" les rites de passage صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام(1909)، في هذه الفترة

كان (فان جنيب) قد تخلى عن مهنة الترجمة في وزارة الفلاحة وأراد أن يكون حرا بترجماته ومحاضراته في علم الأعراق والفلكلور المجالين اللذين ولع بهما عالِمنا، الذي يعد عالم الأعراق Ethnologue ومختص في الفلكلور folkloriste ومن مؤسسي الاثنولوجيا الفرنسية l'ethnologie française. توفي (فان جنيب) في (7ماي 1957) ب Bourg-la-Reine.

في كتاب "طقوس العبور" غامر (فان جنيب) بالخوض في أطروحة نشأت فكرتها -وفق تعبيره- عن "إلهام". فمنذ (تايلور)Tylor و(فريزر) Frazer انشغل علماء الأعراق بفحص أشكال الطقوس: من ذلك أنهم يضعون الطقوس "المحببة" نقيضا للطقوس "المنفرة"، والطقوس "المباشرة" (السحرية) مقابلا للطقوس "غير المباشرة" (الّتي تستحضر الآلهة)، والطقوس "الإيجابية" المحللة في مقابل الطقوس "السلبية" الممنوعة. ولكن القليل من علماء الأعراق أولوا بعض الاهتمام إلى فكرة أن السلوكيات الدينية والسحرية، الحديثة والقديمة، تمارس وفقا لنظام معين. الأمر الذي طرحه (جنيب) في طقوس العبور التي اعتبرها ممارسات ترافق كل تغير في المكان والحالة والموقع الاجتماعي والسن، ففي كل المجتمعات كانت بدائية أو شبه متحضرة أو حتى متحضرة تعرف طقوسا يجتاز من خلالها الفرد أو الجماعات مرحلة إلى مرحلة أخرى (NICOLAS JOURNET, 2001) بتصرف.

وباعتبار أن طقوس العبور تعبر عن تحولات في مكانات الأفراد ضمن الجماعة التي ينتمون إليها لأنها ممارسات مصاحبة للمرور من مرحلة عمرية إلى أخرى، ومن وضع فيزيولوجي واجتماعي إلى آخر يوضح (فان جنيب) أن كل طقس عبوري يتركب من ثلاثة أزمنة: الأول تمهيدي préliminaire، والثاني استهلالي liminaire (العتبة)، والثالث اختتامي post liminaire، من منظور آخر: الانفصال، الهامش والانضمام إلى وضع جديد. بمعنى أن المشاركين في هذه الطقوس يخضعون إلى أفعال من أزمنة ثلاثة. كما يوضح الشكل التالي:

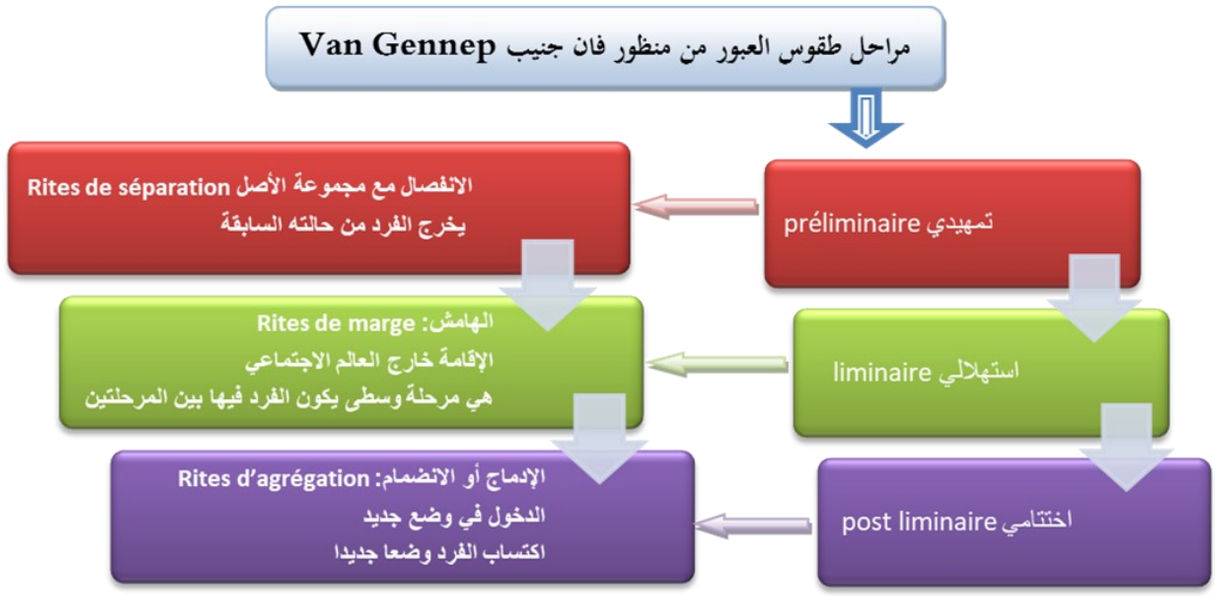

الشكل 01: مراحل طقوس العبور من منظور(فان جنيب)

إنّ طقوس العبور من هذا المنظور تستخدم في فصل الأشخاص أو الجماعات عن وضع معين لإلحاقهم بوضع آخر، وبين الفصل والإلحاق تتمركز مرحلة وسطى تسمى الهامش تمارس فيها مختلف الممارسات ذات دلالات مختلفة.

يعد كتاب "طقوس العبور" دراسة منهجية للطقوس، اعتمد فيها (فان جنيب) على منهجية علمية قائمة على الملاحظة المباشرة لتقديم معلوماته وشرحها وتحليلها. احتوى الكتاب على عشرة فصول:

في الفصول الثلاثة الأولى تطرق جنيب إلى تصنيف الطقوس في إطار تحديد لمجموعة من المفاهيم كالدنيوي (العالم الدنيوي)، المقدس، الدين، السحر، الأفراد والتجمعات والتبادل...، ثم تناول في فصول خمسة لاحقة طقوس الحمل والوضع، طقوس ولادة الطفل، طقوس التدريب، طقوس الخطوبة والزواج ثم طقوس الموت، وسمى فصله التاسع بنماذج أخرى من طقوس العبور، وخصّ فصله الأخير بخاتمة.

2. **طقوس الموت** LES FUNÉRAILLES

ضم الفصل الثامن من كتاب طقوس العبور ل(فان جنيب) موضوع الموت (المأتم، الجنازة) وطقوسه، كمثل جميع طقوس العبور تمر طقوس الموت بثلاث مراحل الانفصال، الهامش، والإدماج. موظفا مجموعة من الأمثلة الميدانية، منها: دراسته لسكان les Habbé هضبة بنيجيرية، الصين، أندونسيا، الهند،

كاليفورنيا.... مشيرا أيضا إلى الحضارات القديمة، المصرية والفارسية والبابلية وكذا الإغريق.

ففي كثير من تلك المجتمعات والتي تقام فيها المآتم تمر الطقوس الجنائزية بمراحل، يتم بصورة تعاقبية فصل الأموات عن الأحياء عن طريق الدفن أو الحرق، ثم يتركون "على الهامش"، وأخيرا يعاد إدماجهم في المجتمع من خلال بقاياهم.

ركز مفكرنا أيضا في هذا الفصل على طقوس الحداد، والتي تختلف حسب الوضع ومكانة المتوفي، تتميز بزي ولباس خاص، وحتى مدة الحداد فمن خلال الأمثلة الكثيرة التي قدمها تختلف باختلاف الجنس أيضا (فالرجل 5 أشهر والمرأة 4 أشهر في بعض المجتمعات)، مؤكدا أيضا أن الطقوس الجنائزية أو طقوس الموت تختلف على حسب التمثلات التي تحملها الشعوب عن الموت، والأساطير التي تتحكم فيها. لهذا فالطقوس تختلف باختلاف المجتمعات.

ثالثا: طقوس الموت في الإسلام

نقصد هنا الإسلام المعيش وليس الإسلام الفقهي كما تشير (فاني كولونا) (Cf. F. Colonna, 1995)، لكن قبل التطرق إلى جانب الممارساتي، أردنا تحديد مفهوم الموت عند المسلمين، فالموت يعد انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ، انتظارا فيها للوصول إلى الدار الآخرة، هو انتقال من دار الفناء إلى دار البقاء، انتقال من دار الزرع إلى دار الحصاد، انتقال من دار التكليف والعمل الدنيوى إلى دار الثواب والعقاب الأخروي.

وعليه، الموت هو حدث عبوري من عالم إلى عالم آخر بالرغم من المسميات العديدة التي يتضمنها العالمين. في مجتمعنا يمكن تقسيم طقوس الموت، انطلاقا من تصنيف (فان جنيب) إلى:

1. طقوس ما قبل الموت (الاحتضار)

يعد الاحتضار انتقالا تدريجيا من الحياة إلى الموت، وتتمثل هذه الطقوس خاصة في الإحاطة بالمريض المحتضر وتلقينه الشهادة والدعاء له وقراءة القرآن، توجيهه إلى القبلة (باعتبارها وجهة القداسة في الإسلام)، وهذا من أجل أن تتقبل الجماعة الموت وتتفاعل معه بإيجابية، فمن ناحية ترمي هذه الممارسات إلى التخفيف من سكرات الموت للمحتضر، ومن ناحية أخرى يصبح الاستعداد للموت حدثا جماعيا يتشارك فيه الجميع إقرارا بحتمية الموت وجعله متقبلا لدى الجماعة فهو نوع من التخفيف لحدة الصدمة.

2. طقوس الموت

يمكن تصنيفها إلى طقوس خاصة بالميت وطقوس خاصة بالجماعة الاجتماعية:

1.2. طقوس خاصة بالميت

تبدأ هذه الطقوس من خروج الروح وتنتهي إلى الدفن (Cf. M. Brahami, 2005)، تنقسم إلى ثلاث، وهي:

1.1.2. طقوس الفصل: فصل الميت عن مجتمع الأحياء وتجهيز الميت للدفن، من خلال طقوس التغسيل والتكفين.

- **التغسيل**: هو طقس تطهيري واجب للدخول إلى فضاء المقدس إكراما للميت، مع العلم أن الغسل لا ينطبق على الشهداء، فالشهيد يدفن بثيابه ودمائه، فلا يغسل ولا يصلى عليه إقرارا بطهارته واستغنائه عن طقوس التطهير.

إن طقوس التطهير هي طقوس رفع النجاسة الحاصلة واستعادة للطهارة المفقودة، وتتم بواسطة الماء رمز النقاء والطهارة. وفي هذا الصدد يقول إلياد مارسية: "تحتفظ المياه في بعض الأنظمة الدينية بوظيفتها على نحو لا يتبدل: تطهر وتولد ولادات جديدة " (M. Eliade, 1965, 111)

يكون التطهير الطقسي تخليصا للروح مما علق بها من شوائب المادة وتأهيلا لها لملاقاة الله إلى الدخول إلى الفضاء المقدس، فالرغبة في التقرب من المقدس والاتصال به للقضاء على حالات القلق والاضطراب هي جوهر الفعل الديني.

- **التكفين**: هو طقس يتلوا طقس التطهير مباشرة، ويتم في إلباس الميت ثوبا خاصا يدفن فيه ويلازمه حتى النهاية، وقد اعتبرها محمد عبد السلام "طقس حماية يمنع أي اتصال بين الجثة والأرواح التي تسكن الأرض" (M. Abdesselem, 1977, 88). وترجع أهمية طقس التكفين إلى:

- ستر الجثة لتخفيف حدة الموقف وتقليل من الرهبة المنبعثة من الجثة
- الكفن هو الثوب الذي يبعث فيه الميت إلى الدار الآخرة، والبياض دلالة على الطهارة والنقاء.

2.1.2. طقوس الهامش: تتحدد بين تجهيز الميت ودفنه، فهي طقوس الجنازة، تتمثل في المشي مع الجنازة مع ضرورة الإسراع للدفن، باعتبار أن الموت حدث اجتماعي وطقوسه تقوم على المشاركة الجماعية. وأيضا صلاة الجنازة لطلب المغفرة والشفاعة للميت، ورجاء الخلاص له من عذاب القبر وأهوال بعد الموت، وتتميز صلاة الجنازة بأنها بلا ركوع ولا سجود رفعا للالتباس من أن يظن بها عبادة الميت، فالتكبيرات تعوض الركعات، كما أن صلاة الجنازة هي إعلان عن انتماء الميت إلى المجتمع الإسلامي.

3.1.2. طقوس الادماج: أي إدماج الميت في مجتمع الأموات، تتمثل في الدفن. حفاظا على كرامة الميت في الإسلام وفي مجتمعنا يتم الدفن بطريقة منظمة مع كثير من الخفة والسرعة، الدفن في تاريخ الإنسانية يرجع إلى فعل الغراب الذي بعثه الله ليوارى سوءة أخيه، في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (سورة المائدة: 31)، وبهذا صار الدفن سنة باقية في الخلق. يسمح الدفن باستمرار الأموات في الفضاء المكاني على الأقل، ويجعل لهم مكانا معلوما، يمكن زيارته والتردد عليه.

يغلب على عملية الدفن الجانب التطوعي؛ بحيث يشارك كل فرد في عملية الدفن بإزالة التراب أو في إرجاعه إلى موضعه من أجل الحصول على الأجر والثواب وعند الإتمام من الدفن عادة ما يوضع فوق القبر شيء معين كصحن أو كوب أو كأس وغيرها. وهي علامة على القبر تبقى موجودة، فحتى إذا أتلفت أو ضاعت يتم استبدالها.

2.2. طقوس خاصة بالجماعة الاجتماعية:

تتمثل أساسا في العزاء والحداد.

1.2.2. العزاء: يعد سمة من سمات التضامن والتآزر والتعاطف بين الأفراد، مع تقديم مساعدات لأهل الميت وإمدادهم بالمواد الأساسية

كالقهوة والسكر والمساعدة في الإطعام مع ضرورة نصب خيمة "القيطون" خاصة في الأيام الثلاثة الأولى وسط الطريق للدلالة على الجنازة.

تعبر مراسيم وطقوس العزاء عن تنظيم اجتماعي، فتتوزع المهام والأدوار بين الرجال والنساء والتزام كل منهم بمهامه إلى انقضاء فترة العزاء، وأيضا تقسيما في المجال أو الفضاء، ففضاء الرجال الخيمة الذي يتصف بالكتمان والتستر، وفضاء النساء داخل المنزل الذي يتميز بالبكاء والصراخ والعويل، وحتى في مسألة مرافقة الميت: النساء ترافق الميت داخل المنزل، أما الرجال فيرافقونه عند تشييع الجنازة ومرافقته إلى القبر من أجل دفنه، وكأن هناك اتفاقية يحترم بنودها كلا الطرفين (الجنسين) داخل النسق الاجتماعي.

وبعد انقضاء فترة العزاء يحدد موعد لالتقاء المعزين من جديد تسمى بالأربعين: وهنا نعرف أن الحزن لم يكن مقتصرا على الميت المفقود فقط، ولكنه حزن موجه بإدراك مسبق لتفكك العلاقات الاجتماعية. وفي الأربعين يظهر جليا هل تم إعادة بناء هذه العلاقات بعدما انتقص منها عضو بسبب وفاته.

2.2.2. الحداد: هو فعل منتظم على فقدان شخص محبوب، وهو ظاهرة عادية تتبع الفقدان، تتم على مراحل:

- **اللحظات الأولى**: تتسم بالشعور بالضيق النفسي والجسدي في آن واحد، فهي حالة صدمة يرافقها موكب من التغيرات الجسدية (سرعة خفقات القلب، هبوط ضغط الدم، ضغط صدري، ميل إلى الإغماء، فقدان الأكل والنوم.

- **المرحلة الاكتئابية**: تتميز ب: اكتئاب مؤلم بعمق، فقدان الاهتمام بالعالم الخارجي، وفقدان القدرة على المحبة، الانطواء على النفس، الانجذاب نحو الموت.

- **مرحلة التكيف**: تبدأ عندما يلتفت المصاب إلى المستقبل، بمعنى أن الجرح على فقدان شخص متوفي بدأ يلتئم، هذا باستثناء الحالات المرضية، والتي تعبر عن رفض الموت أو الشعور بالإثم، هذه الحالة هو تعارض وجداني مع حقيقة الموت

رابعا: آثار جائحة (كورونا) على طقوس الموت

لقد استطاعت جائحة (كورونا) التأثير على طقوس الموت في بلادنا، وقد وصفت آمال موسى هذا التأثير بالانقلاب الصريح للطقوس في قولها: "وها نحن من دون مقاومة ومن دون صراع نمارس انقلاباً ثقافياً يتمظهر في امتثالنا لتجميد ممارسات ثقافية متجذرة في الثقافة والحضارة والفعل الاجتماعي. بل إن البعض طالب بحرق جثث موتى «(كورونا)». وهو ما يُظهر لنا بشكل غير مسبوق كيف تخلت بعض الظواهر الاجتماعية الثقافية عن قهرها للمجتمع ولم تعد قاهرة على الأقل إلى أن يتم ابتكار لقاح ضد فيروس «(كورونا)»، بل إنّها توقفت حالياً أيضاً عن أن تكون كما يسميها (دوركايم) ظواهر سليمة تتميز بالعموم وذات وظيفة ونفع للنّوع البشري، وهو ما كان يضمن لها الاستمرارية والثبات لكونها تزود الأفراد بقوة ما" (موسى، 2020)

فلم تعد الطقوس الاحتضار موجودة كما في السابق، المتمثلة خاصة في الإحاطة بالميت والدعاء له مباشرة، بل أصبح الدعاء يتم عن بعد خوفا من العدوى وفي ظل حتمية التباعد الاجتماعي. وهنا لعبت مواقع التواصل الاجتماعي دورا مهما عند التعليق في صفحات الفيسبوك على سبيل المثال أن شخصا ما مريض، ليشارك الجميع في الدعاء من خلال التعليقات أو الاتصال شخصيا بناشر الخبر، وهذا على حسب نوعية وقوة العلاقة أو الرابط الاجتماعي، (أنظر بعض النماذج من خلال الصور 1، 2، 3).

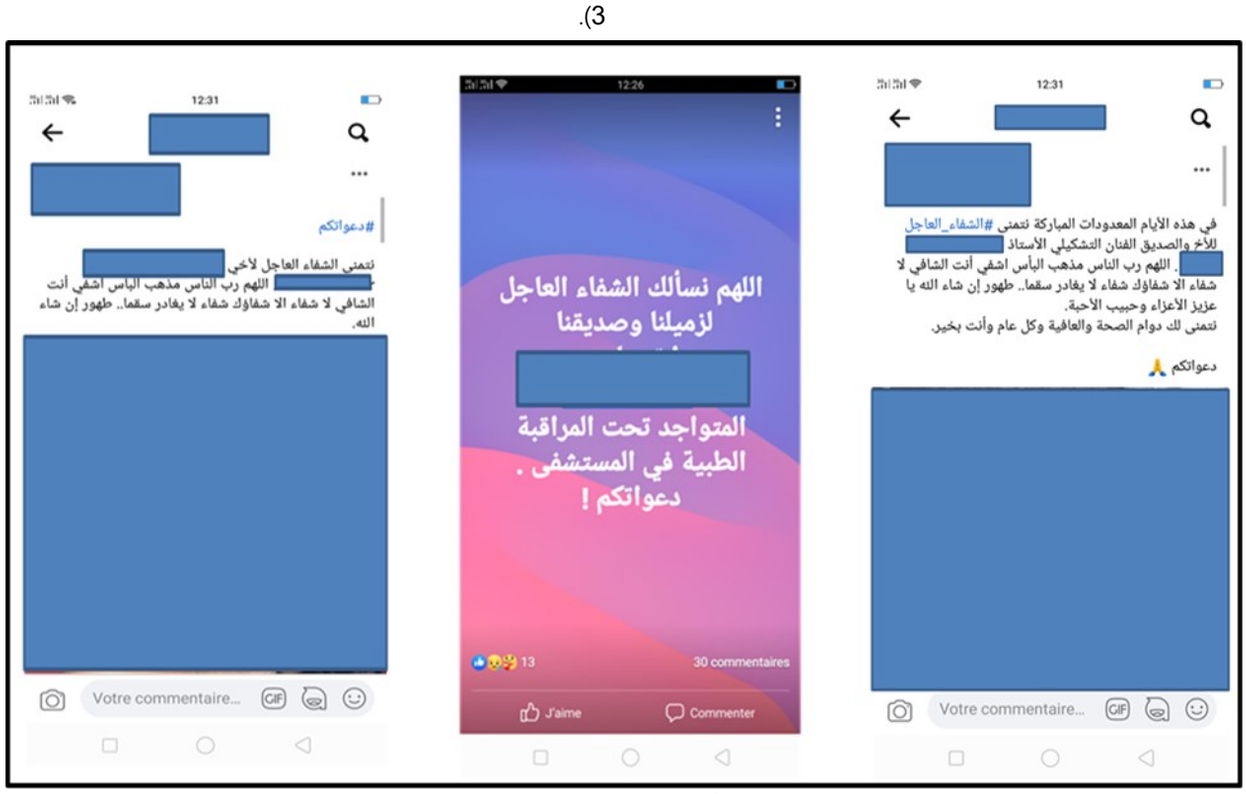

الصور(1) (2) (3): أشكال الدعاء عبر مواقع التواصل الاجتماعي

وبعد الموت تبدأ طقوس فصل الميت عن مجتمع الأحياء وتجهيزه للدخول لعالم الأموات بتغسيله وتكفينه ودفنه، وقد أثار الانتشار المتسارع لوباء (كورونا) والارتفاع المخيف في معدلات الوفيات جدلا حول طقوس الدفن للحالات التي توفيت بسبب الفيروس، وإذا ما كانت الجثث قد تنقل المرض خلال أو بعد عملية الدفن. وبعد تأكيد من الخبراء أن جثث الموتى لا تنقل العدوى، بقيت هذه طقوس موجودة. أما صلاة الجنازة التي تعد فرض كفاية ولا يجوز إلغاؤها مع التقليل في عدد من يحضر صلاة الجنازة.

واقتصرت طقوس العزاء والمواساة لدى كثير من الأفراد على الهاتف أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فيصبح الموت مثل غيمة طارئة ثقيلة، تحدث ثم تختفي، لتحضر أخرى... ويصير الموت كشبح يومي يزور الجميع مرفقا بالدهشة والرعشة والرهبة والهلع وقد عبر عليه الكثير بنشر صور كدلالة على الموقف المرعب وحالة الهلع والارتباك الذي تعيشه الإنسانية جمعاء، وإليكم بعض النماذج.

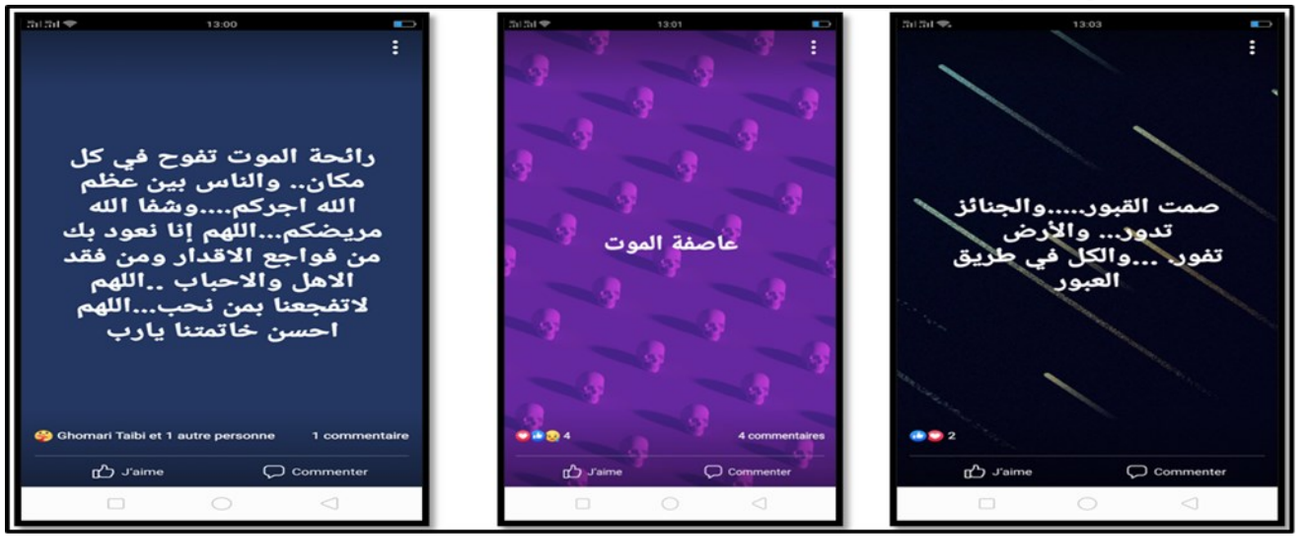

الصور(4) (5) (6): تعبر عن فظاعة موقف الموت عبر مو اقع التواصل الاجتماعي

لقد أضحى الموت خبرا يحيط بالجميع وأصبح كغيره من الأخبار يتم تناقله وتقديم التعازي عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وهذه بعض النماذج من شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) يتم نشرها لتعزية والتخفيف عن مصاب الموت:

الصور(7) (8) (9): أشكال التعازي عبر مو اقع التواصل الاجتماعي

ولا يمكن أن ننفي استمرار التنظيم السابق، وهو توافد عن الأسرة المصابة لكن ليس بالكثافة نفسها التي عايشناها سابقا.

أما الحداد فهو ظاهرة لا يتحكم فيها القانون الوضعي وهو باقي بقاء الجنس البشري يشعر المصابين بفقدان شخص ميت بالصدمة النفسية والاكتئاب الحاد لتبدأ مرحلة التكيف مع الوضع ومعايشته لكن دون نسيان المفقود.

لقد سهلت التكنولوجيا ووسائلها العزاء واستطاع الأفراد تجاوز مشكلة التجمع البشري في العزاء وأنشأت صفحات خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة بالعزاء والدعاء للأموات، يطلب من المتصفحين نشر منشوراتهم ليقوم أعضاء المجموعة بالدعاء والترحم على الميت، تستقبل أشكالا عديدة من المشاركات وكأنها مقابر افتراضية تحمل شواهد افتراضية.

الخاتمة

تعتبر الطقوس بما فيها طقوس الموت مجموعة من الحركات تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد صلة مع العالم المقدس، هذه الصلة تقوم على نقل الإنسان من وضع قلق إلى وضع مطمئن تقوم بارتقاء الإنسان إلى عالم علوي فوق عالمه الذي ينتمي إليه.

فالإنسان يسعى عن طريق الطقوس للتقرب من العالم المقدس وهو موضع تهدئة اضطراباته، وإن الطقوس تعيد التوازن الداخلي للإنسان، بمعنى تسعى إلى تجنيب الذات الذوبان في مجتمع دائم التغير فتحميها من التوتر والقلق. تضمن هذه الطقوس وحدة الجماعة وتماسكها.

وإن طقوس الموت في مجتمعنا تخضع للأزمنة الثلاثة للفعل الطقسي (الفصل، الهامش، والادماج) كما رسمها (فان جنيب).

وفي الوضع الحالي تقلصت هذه الطقوس بفعل جائحة (كورونا) التي دفعت المجتمع لاعتماد التفاعل الافتراضي عبر مواقع التواصل الاجتماعي خاصة، وتلخيص طقوسه وممارساته الثقافية وتضامنه وتعازيه في صور أو عبارات مكتوبة لحفظ ماء الوجه بعرضها عبر مواقع التواصل الاجتماعي. فهل نحن فعلا أمام أزمة ستستمر ما بعد الجائحة؟ ماذا يحمل المستقبل من تغيرات على مستوى ممارساتنا وطقوسنا؟ كيف ستستعيد طقوسنا عندما نتجاوز أزمة (كورونا)؟ وهل ستبقى مواقع التواصل الاجتماعي تحتل نفس الصدارة في الإعلان عن الوفاة وفي التعزية وفي الدعاء للميت وهو يحتضر وبعد وفاته؟ هل ستتغير تصوراتنا وتمثلاتنا للموت وطقوسه ما بعد الجائحة؟

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم

- ارحالي، ميلود وبولوح، ابراهيم. (2020). جائحة كوفيد 19 وإرهاصات تحول ثلاثي: المجال، والرابط الاجتماعي والسلطة، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، المجلد 01 العدد 02: 1-30.
- بوهاها، عبد الرحيم. (2009). طقوس العبور في الإسلام (دراسة في المصادر الفقهية)، تقديم عبد المجيد الشرفي، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.
- السواح، فراس. (2001). الأسطورة والطقس، من الموقع الالكتروني: http://maaber.50megs.com/eleventh_issue/mythology1.htm
- المحواشي، منصف. (جويلية- سبتمبر 2010)، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة إنسانيات، عدد 49، وهران: 15- 43.
- المعجم الوسيط (1987). ج 1، ط2، بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.
- موسى، آمال. (25 أبريل 2020)، كيف سيلتئمُ جرحُ الثقافة بعد «(كورونا)»؟ جريدة الشرق الأوسط، رقم العدد [15124] من الموقع الالكتروني: https://aawsat.com/home/article.

ثانياً: ترجمة المراجع العربية إلى اللغة الإنجليزية

The Holy Quran

- *Rahali, Miloud & Boulouh, Ibrahim. (2020). COVID-19 pandemic and harbingers of the triple transformation: space, social link and authority, Academic Journal for Research in the Social Sciences, volume 01, number 02: 1-30*
- *Bouhaha, Abderahim. (2009). The Rites of Passage in Islam (A study in Doctrinal sources), Beyrouth: Arab diffusion company.*
- *Al-Sawwah, Firas. (2001). [En ligne], retreived from: http://maaber.50megs.com/eleventh_issue/mythology1.htm*
- *El mahwachi, Moncef. (July-September 2010). Rituals and tyrannical symbols within a changing society, Insaniyat, number 49, CRASC: 15-43*
- *Al-Mu'jam Al-Waseet (1987). Section 1, Edition2, Beyrouth: Amwaj publisher.*
- *Moussa, Amel. (April 2020). How will the wound of culture heal after "Corona"?, Asharq al-Awsat, number[15124, [En ligne], retreived from : https://aawsat.com/home/article*

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

- *Abdesselem, M. (1977). Le thème de la mort dans la poésie arabe des origines à la fin du III / IX siècle (The theme of death in Arabic poetry from its origins to the end of the 3rd / 9th century): Publication de l'université de Tunis.*
- *Boudon, R. (2005). Dictionnaire sociologique (Sociological dictionary), Paris: Ed Bethsabée Blumel.*
- *Brahami, M. (2005). Les rites funérères en Islam (Funeral rites in Islam), France: Ed Tawhid.*
- *Colonna, F. (1995). Les versets de l'invincibilité: Permanence et changement religieux dans l'Algérie contemporaine (The Verses of Invincibility: Permanence and Religious Change in Contemporary Algeria): Presses de la fondation nationale des sciences politiques*
- *Eliade, M. (1965). Le sacré et le profane (the sacred and the profane), Paris: Gallimard.*
- *GENNEP, A. V. (1909). Les rites de passage (The Rites of Passage), Paris: Emile Nourry.*
- *NICOLAS JOURNET. (2001). Arnold van Gennep (1873-1957) Les rites de passage (The Rites of Passage), [En ligne], retreived from: http://www.scienceshumaines.com/les-rites-de passage_fr_1079.html*
- *Rivière, C. (2008). socio anthropologie des religions (socio anthropology of religions), 2eme édition, Paris: Armand colin.*
- *Segalen, M. (1998). Rites et rituels contemporains (Contemporary rites and rituals), Paris: Ed Nathan.*